تحسين الحالة فى الريف
ومسكن الفلاح

استوقف موضوع الريف فى المدة الأخيرة نظر المصلحين والباحثين والحكومات وأجمع الكل على أن شيئاً لابد أن يعمل . فما هى عاطفة رحمة فقط ، ولا نوع من الشفقة المطلقة — ولكنها المصلحة القومية تستوقفنا إلى الدعوة لإصلاح الريف حيث نرجو أن يؤدى التقدم فيه إلى بناء حاجز متين يحول دون تطرق المبادىء والمذاهب المتطرفة التى تشكو منها معظم الأمم والتى أصبحت خطراً على كيان العمران لم تحسن معالجتها . وقد اختلفت الآراء فى ما يلزم عمله فى سبيل إصلاح حالة الفلاح — وعندما أقول حالة الفلاح أقصد إصلاح الريف أيضاً ، إذ يسكنه على الأقل أحد عشر مليوناً من الستة عشر مليون مصرى ومصرية يشتغلون بالفلاحة فى الريف . وفى الريف ترتكز ثروتها العقارية من زرع وضرع ، وكل مصرى الجنسية لا تربطه بالريف رابطة القربى ولا يمت إلى أسرة من أسره بصلة لا يمكن أن يكون مصرياً صميما . فإذا تكلمنا عن الحياة الريفية فنحن نتكلم عن مصالحنا ومصالح أسرنا وثرواتنا وحيث نرجو أن يؤدى التقدم إلى تقدم البيئة المصرية فى مجموعها . وفى الوسع تلخيص العوامل الأساسية للإصلاح فيما يأتى :—

(١) تحسين مسكن الفلاح (٢) تحسين حالته الصحية (٣) تحسين مستواه التعليمى (٤) تحسين مياه الشرب (٥) تحسين حالته المعيشية والاجتماعية والاقتصادية .

إن جميع هذه النواحى من حياة الريف لا تدعو حالتها فى الوقت الحاضر إلى الارتياح ولا تزال وجوه الإصلاح تتداولها المباحث الحكومية والأهلية . ويلزم لها تنظيم وسائل الإرشاد الزراعى وتوجيه التعليم فى القرى لمصلحة الفلاح . وتعديل أعمال الجمعيات التعاونية . والمجالس الزراعية القروية وغيرها من الأنظمة بحيث تتمشى مع حاجة الفلاح وتلائمها . وقد نشأ عن النقص فى كل ذلك زهد أهل الريف

محاضرة لسعادة فؤاد أباظه باشا ألقيت فى يوم الريف — برابطة الاصلاح الاجتماعى فى دار المحاضرات بالجمعية الزراعية .

فيه وهجرتهم منه . وقد رتبت رابطة الإصلاح الاجتماعى مباحثات اليوم عن الريف فتكلم معالى حسين هيكل باشا عن أسباب هجرة الريف إلى المدن وعلاجه .

وعالج جلال فهيم باشا موضوع توزيع السكان فى مناطق القطر المصرى وما بذلته الحكومات الأخرى من سعى لتنمية الإنتاج الزراعى . ويبحث محمد على ناصر بك علاقات المالك والمستأجر . ثم يحاضرنا الدكتور عبد الواحد الوكيل بك فى موضوع «الإصلاح الصحى» ثم تليه الآنسة ابنة الشاطئ فى موضوع «أثر المرأة فى الريف» .

وسأتناول أنا موضوع مسكن الفلاح ومعيشته : فقد هال الجمعية الزراعية الملكية ما يتكبده هذا الفلاح من عناء فى عمله لا يجد بعده ما يعوّضه الراحة فى منزله حتى بدأ يهجر الريف إلى المدن لما يجده فيها من حياة مسلية تجذبه أنوارها ويخدعه زخرفها فرأت أن تأخذ بيده فى هذه الناحية وأن تعمل على إصلاح القرية وتحسينها فشيدت عزبة نموذجية ببهتيم قريباً من محطة شبرا افتتحتها فى نوفمبر سنة ١٩٣٤ وألحقتها بعزبة أخرى روعيت فيها الشروط الصحية مع الاقتصاد فى النفقات ليكون فى مقدور الملاك إنشاء مثلها . ثم قامت بعمل ثالث وهو إصلاح قرية قديمة بقدر الإمكان وبأقل التكاليف فى إحدى القرى القائمة على الأراضى الزراعية التى اشترتها الجمعية فى بهتيم .

وقمت أنا ببناء عزبة خاصة لى على أساس تلك النظم فى مركز منيا القمح فى مديرية الشرقية ، وكلها تحوم حول تكليف دار الفلاح خمسة وعشرين جنيهاً على أسس صحية ونظيفة تتخللها الطرقات ويسودها حسن المظهر . وإنى أوجه النظر إلى ما وصلت إليه من نتيجة المباحث الكثيرة ، وهو أن العامل الأساسى فى سوء حالة الريف هى قلة المال لإصلاحه .

لذلك يجب أن نتجه فى إصلاحه إلى أقل التكاليف الممكنة ، وقد خرجت من ذلك بالنصح بالبناء بالطوب النيء ، فالبناء به يوفر خمسة أسداس الكلفة .

ومن دواعى سرورى أنى شاهدت بنفسى فى ولايتى كاليفورنيا وأريزونا فى صيف العام الماضى بيوت الفلاحين وبعض مكاتب وزارة الزراعة نفسها وطائفة من الفنادق فى المدن بنيت أيضاً بالطوب النيء ونجحت نجاحاً باهراً لما تتصف به هذه المنازل من توفير برودة الجو داخلها فى هاتين الولايتين أثناء الصيف . فالمشابهة بينهما

وبين مصر كبيرة من وجوه متعددة ، لما فيها من الصحارى والجبال والرى وزراعة القطن وحرارة الجو وزراعة النخيل الخ . فجاء كل ذلك مصداقاً لوجهة نظرى من سنوات فى تفضيل الطوب النيء فى بناء العزب والقرى فى الوجه القبلى وما يزيد عن النصف الجنوبى من الوجه البحرى ، علاوة على ما ينشأ عن ذلك من توفير التكاليف فيما لو بنيت من الحجر أو الأسمنت المسلح والطوب الأحمر .

ومن رأيى ، بصفة تقريبية ومبدئياً ، أن يبدأ الخط الفاصل بين مبانى الطوب الأحمر والطوب الأخضر (النيء) من القنطرة على قنال السويس ماراً بجنوب بلدة تلراك بالشرقية ، والسنبلاوين بالدقهلية ، وبحرى محلة روح بالغربية ، وبحرى إيتاى البارود بالبحيرة إلى أبو المطامير .

وقد يكون من الطريف أن أروى أن البناء بالطوب النيء فى كاليفورنيا وما يجاورها يسمى طريقة الـ (Adobe) ، وبالبحث والتنقيب وجدت أن (Adobe) هذه لفظة وردت من أسبانيا إلى أمريكا ومعناها الطوب النيء ، أو بعبارة أخرى هى اللفظة الغربية للطوب كما كان يسميه العرب من أهل الأندلس فنقلت بالأسباتية إلى أمريكا كما هى .

ويجب أن تدرس موضوع البناء بالطوب النيء دراسة عملية مؤسسة على العرف والفن والواقع وإمكان التنفيذ . أما إذا أطلقنا لخيالنا العنان وطلبنا الملايين من الجنيهات لإصلاح المساكن فى الريف فإننا لا نجدها . وبالتالى ستبقى مساكن الفلاح على ما هى عليه من السوء إلى ما شاء الله كما كانت من آلاف السنين . أما إذا عالجناها على ما هو فى حدود المتناول والإمكان من جهة المصاريف ، ففى وسعنا أن نعمل شيئاً بدلا من أن نقف جامدين .

لذلك رأيت أن أبحث سياسة البناء بالطين من الوجهة المعمارية والهندسية فاتصلت بحضرة صاحب العزة المهندس القدير مصطفى فهمى بك بصفته مهندس الجمعية الزراعية الذى وضع تصميمات مبانى الجمعية للمعارض والعزب الخ . وأشرف على عملية البناء وعلى اتصال عملى مستمر بجهود الجمعية فى هذا السبيل فجاءنى من عزته الخطاب الآتى بتاريخ ٢ أبريل سنة ١٩٤٠ .

« نتشرف بأن نرد لسعادتكم ملف مستندات الطوب النيء الذى تكرمتم بتسليمه لنا للاطلاع عليه وإبداء الرأى فيه ، ولا يسعنا إلا التنويه بتقدم وتطور استعمال

الطوب النيء فى أمريكا . ولا شك أن هذا النوع من المبانى له أهمية لا تبدو لأول وهلة . أنه يستحق كل درس وبحث وتجارب قبل الحكم عليه .

وقد لاحظنا من المستندات التى أحضرتموها سعادتكم من أمريكا ومن نشرات جامعتى كاليفورنيا وكولوراد وأن هناك مؤلفات عديدة عن هذا النوع من المبانى وأنه يستعمل فى هاتين المقاطعتين بكثرة لا للمبانى الزراعية فقط بل لمبانى السكن أيضاً فى القرى والمدن مع توفير ما لجميع الشروط الصحية والإنشائية اللازمة . وفيما يلى ما يمكن استخلاصه مبدئياً فى هذا النوع : —

إن مبانى الطوب النيء التى لا تستعمل فى مصر إلا فى المنازل الريفية والمخازن والمبانى الزراعية بشكل اقتصادى جداً بحيث لا تتوفر فيها جميع الشروط الصحية والانشائية اللازمة ، خصوصاً ما كان منها للسكن . ولا شك أن ذلك راجع لعدم توجيه الاهتمام بهذا النوع من المبانى خصوصاً من الرجال الفنيين . وربما أدت الدراسة والأبحاث إلى نتائج تعادل النتائج التى وصلت إليها أمريكا حتى ولو أدى ذلك لزيادة التكاليف قليلا فى مقابل تحسين المبانى من الوجهة الصحية والإنشائية . وقد عالجوا فى أمريكا ذلك بعمل أساسات خرسانية وطبقة عازلة للرطوبة وأسقف متينة عازلة للحرارة سواء من الخشب أو الحديد وبياض للحوائط من الداخل بجميع أشكاله وبياض للخارج مقاوم للمياه لوقاية الطوب النيء ، وذلك مايجب البحث عنه ودراسته جدياً لتطبيقه فى مصر بما يتمشى مع المقتضيات المحلية ، وهناك نقطتان هامتان فى هذا الموضوع .

أولا — هل معدن الطوب النيء فى أمريكا يماثل أو يشابه معدن الطوب النيء فى مصر ويمكن معرفة ذلك بالاتصال بإحدى جامعات أمريكا مثل جامعة كاليفورنيا أو كولوراد والسؤال عن التحليل الكيمائى والميكانيكى لتربة الأرض التى يصنع منها الطوب النيء هناك ويعمل نفس هذا التحليل فى المعمل الكيمائى فى مصر لتربة من أرض الجمعية الزراعية ببهتيم مثلا ومن جهة أخرى مثل الوراق التى يكثر بها قمين الطوب الأحمر . وربما حتى لو وجد فرق أمكن تلافيه بإضافة مواد أو ما يشابه ذلك .

ثانياً — ربما كان سبب انتشار الطوب النيء فى أمريكا راجع لغلو الأيدى العاملة ومواد البناء الأخرى بعكس الحاصل فى مصر من رخص الأيدى العاملة ومواد البناء .

وقد سبق أن قامت الجمعية ببناء عزبة بيهتيم بالطوب الأحمر وأخرى مماثلة لها بالطوب النيء وبلغت نفقات الثانية سدس الأولى . ولكن يلاحظ أن العزبة الثانية لا يتوفر فيها ما توفر فى الأولى من الوجهة الصحية والانشائية من عمل أساسات وأسقف متينة وطبقة عازلة للرطوبة وبياض داخلى وخارجى يجعل الطوب النيء يقاوم المؤثرات الجوية ولا يساعد على نمو الحشرات به ويجعل حياة المبنى معادلة لمثيله بالطوب الأحمر . كما هو الحال فى أمريكا .

فهل لو أدخلت هذه التحسينات تزيد تكاليف الطوب النيء بما يقارب الأحمر أو تبقى أقل بدرجة محسوسة . فلو أمكن جعل مبانى الطوب النيء تتوفر فيها الشروط الصحية والإنشائية كمثلها بالطوب الأحمر حتى ولو زادت التكاليف إلى أن صارت ربع أو ثلث تكاليف الطوب الأحمر بدلا من السدس لكانت نتيجة ذلك باهرة ولأمكن استعمال الطوب النيء فى جميع جهات القطر الرطبة والممطرة ولمختلف الأغراض سواء للمبانى الزراعية أو لمبانى السكن .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأذكر لسعادتكم أن من أهم مشكلات الطوب النيء صعوبة نقله لسهولة تفتته وتلفه وكذلك نرى أهالى القرى يحفرون الأرض حول قراهم لعمل الطوب النيء مما يسبب وجود البرك والمستنقعات خصوصاً فى الوجه البحرى لقرب منسوب مياه الرشح من سطح الأرض . أما الطوب الأحمر فإن الفاين تكون بجوار الترع والمصارف لأخذ الطينة منها ثم ينقل بعد حرقها لموقع البناء . وهذه المشكلة مرتبطة بمبانى الطوب النيء ويستدعى بحثها أيضاً .

وختاماً أتمنى لسعادتكم التوفيق فى بحث ودرس هذا الموضوع والوصول لنتائج حاسمة قد تغير من حياة الفلاح ومظهر الريف المصرى وإن نجاح هذه الفكرة الصائبة يكون لسعادتكم الفضل فيه » .

والخلاصة أن من العوامل الهامة فى تحسين الحالة فى الريف هو إعداد المسكن الصالح للفلاح بأرخص التكاليف وإن جوانب التفكير فى الإصلاحات التى سمعتموها وستسمعونها عن الريف من وجهاته الصحية والتعليمية والاجتماعية وغيرها تفسد نتائجها إذا ظلت المساكن فاسدة الوضع على حالتها الراهنة ومن رأيى أن تسير كلها معاً جنباً إلى جنب وفقنا الله جميعاً إلى الصواب .